# كلمة فى البدء

منذ خمس سنوات قدّمت كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم، محقّقا لأول مرّة على نحو علمى، بقدر ما تسمح به مخطوطة وحيدة لا نملك إلاّ مصوّرها، وكانت المتاعب كثيرة، والجهد الذى بُذِل مضاعفًا، ولا يعرف الشوق إلاّ من يكابده، ولكن إقبال القارئ العربى عليها فاق كل تصوّر، فصدرت طبعته الثالثة منذ عام، ووجدت فى تقديره العزاء، وفى قدرته على التمييز بين الغث والثمين سندًا أواجه به مصاعب الحياة بين السطور والكلمات والصفحات.

وها أنذا أتقدم بمغامرتى العلمية مع ابن حزم خطوة أخرى إلى الأمام، فأقدم رسالته الممتازة «الأخلاق والسير فى مدواة النفوس»، تضم اعترافات فقيه عظيم، وخواطر مفكر جليل، وأفكار فيلسوف عالم، وأنت معها، وبإزائها، لا تقع عينك على كلمات، ولا يستقبل عقلك جملاً، وإنما تمسك بتجارب حيّة لرجل خبر الدنيا، وتكشّفت له أسرار الحياة، خلال صفحات تشع ذكاء وجلالاً، وتعبق صدقًا وإخلاصًا، وتغمرك بدفئها وأنسها، وستجد فيها صورا دقيقة أمينة لجوانب من حياتك، وللكثير مما يجرى حولك، فكأن الرجل يعيش عصرنا، ويتحدث عن أيامنا.

وبعد، فلن أتحدث عن روعة الرسالة بأكثر مما تتحدث هى عن نفسها، وأدع القارئ يواجهها بنفسه، بعد أن ضبطت نصها، وفسّرت كلماتها، وعلّقت على بعض أفكارها، بما يضىء له السبيل، ويذلل الطريق، وقدّمت لها بحديث عن حياة المؤلف الصاخبة المضطربة، اعتمدت فيه على دراسة سابقة لى نُشِرت من قبل، ففيها عون كبير على تقييم رسالته، وفهم إشاراته، وأتبعته بحديث عن الرسالة توثيقا وتأريخًا.

والله أسأل: أن ينفع بها، وأن يعين على تحقيق بقية تراث ابن حزم، فى صورة تسعده روحا، ونزهو بها أمةً، فإن جاءت على ما نرجو لها فذلك ما حاولته، وإن كانت دون ما يطمع القارئ، فليعذرنا، فما أعظم ما يلاقى الباحث من عناء.

الجمعة ٢٩ ربيع الآخر ١٤٠١هـ
٦ مارس ١٩٨١م

الطاهر أحمد مكى

تمثال من البُرُنْز بالحجم الطبيعى لابن حزم القرطبى، بلباس العلماء، من صنع المثّال الإسبانى أماديو رويث اولموس Amadeo Ruiz Olmos أقامته بلدية قرطبة عام ١٩٦٣، أمام باب اشبيلية، أو العطارين، وكان يؤدى إلى بلاط مغيث، الحى الذى نشأ فيه ابن حزم... من هنا كان طريقه اليومى إلى المسجد الجامع: طالبًا، وأستاذًا أو للصلاة.

وقد كتب على قاعدته بالخط الكوفى: «بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لوفاة أبى محمد على بن حزم القرطبى، تقدم مدينة قرطبة أعظم آيات التقدير لمن تعتبره علمًا من أعلام ثقافتها».